الفصل الأول

حقيقة السلام وفضله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حقيقة السلام .

المبحث الثاني : فضل السلام .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

حقيقة السلام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الحقيقة اللغوية .

المطلب الثاني : الحقيقة الشرعية .

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الأول

الحقيقة اللغوية

السّلام : اسم مصدر من سلّم ، ومصدره الجاري عليه تسليم ، كعلّم تعليماً ، وفهّم تفهيماً ، وكلّم تكليماً ، والسلام من سلّم ، كالكلام من كلّم .

والحكمة في مجيئة اسم مصدر : أن المقصود حصول مُسمّى السلامة للمسلم عليه على الإطلاق من غير تقييد بفاعل ، فلما كان المراد مطلق السلامة من غير تعرض لفاعل أتوا باسم المصدر الدال على مجرّد الفعل ، ولم يأتوا بالمصدر الدالّ على الفعل والفاعل معاً .

والسلام والتحية معناهما واحد ، والمراد : السلامة من جميع الآفات ، والبراءة والنجاة من الشرّ والعيوب ، ومنه قيل للجنة : دار السلام ، لأنها دار السلامة من الآفات[1] .

والسلام : اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى ، لسلامته سبحانه من كلّ عيب ونقص ، فهو السلام الحقّ بكلّ اعتبار ، وقد ثبت هذا الاسم في القرآن في أسماء الله ، فقال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر سبحان الله عما يشركون ﴾[2] .

وعن عبد الله رضي الله عنه قال : « كنا إذا صلّينا مع النبي ﷺ قلنا :

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٢/ ٢٩٠ . دار صادر والمصباح المنير ص ٢٨٦ . المكتبة العلمية ، بدائع الفوائد ٢/ ١٣٩ . دار الكتاب العربي .

(٢) الحشر ٢٣ .

السلام على الله قبل عباده ، السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل ، السلام على فلان وفلان ، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه فقال : إن الله هو السلام ، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل . . . . »[1] .

قال ابن دقيق العيد[2] : السلام يطلق بإزاء معان منها : السلامة، ومنها التحيّة ، ومنها أنه اسم من أسماء الله ، قال : وقد يأتي بمعنى التحيّة محضاً ، وقد يأتي بمعنى السلامة محضاً ، وقد يأتي متردّداً بين المعنيين، كقوله تعالى : ﴿ ولا تقولُوا لمَنْ ألقَى إليكمُ السلامَ لستَ مؤمناً ﴾[3] .

فإنه يحتمل التحية والسلامة ، وقوله تعالى : ﴿ ولهم ما يَدَّعُون سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ ﴾[4] .

☆ ☆ ☆

(١) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب السلام اسم من أسماء الله تعالى ٧/ ١٢٧ .
(٢) فيما حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٣ .
(٣) النساء ٩٤ .
(٤) يس ٥٨ .

obeikandl.com

المطلب الثاني

الحقيقة الشرعية

المراد بالسلام التحية التي يحيي بها المسلمون بعضهم بعضاً وذكر ابن القيم[1] ـ رحمه الله ـ أن في معنى السلام المطلوب عند التحية قولين مشهورين :

أحدهما : أن المعنى : اسم السلام عليكم ، والسلام هنا هو الله عز وجل ، ومعنى الكلام : نزلت بركة اسمه عليكم وحلّت عليكم ، ونحو هذا .

واحتجّ أصحاب هذا القول بحجج منها : ما ثبت بإسناد صحيح[2] : أنهم كانوا يقولون في الصلاة : السلام على الله قبل عباده ، السلام على جبريل ، فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله فإنّ الله هو السلام » .

فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا السلام على الله ، لأن السلام على المسلم عليه دعاء له وطلب أن يسلم والله تعالى هو المطلوب منه لا المطلوب له وهو المدعو لا المدعو له فيستحيل أن يسلم عليه بل هو المسلم على عباده كما سلم عليهم في كتابه حيث يقول : ﴿ سبحان ربك

---

(١) في بدائع الفوائد ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٢ .

(٢) تقدم تخريجه ص١٤.

رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ﴾[1] .

والمقصود أن الله تعالى يطلب منه السلام فلا يمتنع في حقه أن يسلم على عباده ولا يطلب له فلذلك لا يسلم عليه ، وقوله ﷺ : « إن الله هو السلام » صريح في كون السلام اسماً من أسمائه ، قالوا : فإذا قال المسلم : سلام عليكم كان معناه : اسم السلام عليكم .

ومن حجج هذا القول : أن الكفار من أهل الكتاب لا يُبدؤون بالسلام فلا يقال لهم : سلام عليكم ، ومعلوم أنه لا يكره أن يقال لأحدهم : سلمك الله ، وما ذاك إلا أن السلام اسم من أسماء الله فلا يسوغ أن يطلب للكافر حصول بركة ذلك الاسم عليه .

القول الثاني : أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية .

ومن حجة أصحاب هذا القول : أنه يذكر بلا ألف ولام فيقول المسلم : « سلام عليكم » ، ولو كان اسماً من أسماء الله لم يستعمل كذلك بل كان يطلق عليه معرفاً كما يطلق عليه سائر أسمائه الحسنى فيقال : « السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » .

ومن حججهم أن عطف الرحمة والبركة عليه في قوله : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته يدل على أن المراد به المصدر ، ولهذا عطف عليه مصدرين مثله . وأيضاً فإنه لو كان السلام هنا اسماً من أسماء الله لم يستقم الكلام إلا بإضمار وتقدير يكون به مقيداً ويكون المعنى : بركة اسم السلام عليكم ، فإن الاسم نفسه ليس عليهم ، ولو قلت : اسم الله عليك كان معناه : بركة هذا الاسم ونحو ذلك من التقدير ، ومعلوم أن هذا التقدير خلاف الأصل ولادليل عليه .

قال ابن القيم[2] ـ رحمه الله ـ: «الحق في مجموع القولين فكل

---

(١) الصافات ١٨١ .

(٢) في بدائع الفوائد ٢/ ١٤٣ .

منهما بعض الحق والصواب مجموعهما .

وإذا ثبت هذا فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم ما عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله وهو السلام الذي يطلب منه السلامة ، فتضمن لفظ السلام معنيين :

أحدهما : ذكر الله كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

والثاني : طلب السلامة وهو مقصود المسلم ، فتضمن « سلام عليكم » اسماً من أسماء الله ، وطلب السلامة منه » .

وفي باب بدء السلام[1] أخرج البخاري ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله » .

☆ ☆ ☆

(١) من كتاب الاستئذان .

obeikandl.com

المبحث الثاني

فضل السلام والأمر بإفشائه

«السلام كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعي لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها ، لأنها من أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة ، يحصل بها تمكين ألفة المسلمين بعضهم لبعض ، وتتحقق بها المحبة بين المتسالمين ، وإظهار شعار المسلمين المميز لهم عن غيرهم من أهل الملل ، مع ما في ذلك من رياضة النفس ، ولزوم التواضع ، وإعظام حرمات الله ، ورفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين ، وكان ذلك لما في السلام من ائتلاف الكلمة لتعم المصلحة بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين »[1] .

قال ابن القيم[2] ـ رحمه الله ـ بعد ذكر تحية الفرس والعرب في الجاهلية : « التحية بالسلام أولى من ذلك كله لتضمنها السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها ، فهي الأصل المقدم على كل شيء ، ومقصود العبد من الحياة إنما يحصل بشيئين : بسلامته من الشر ، وحصول الخير كله ، والسلامة من الشر مقدمة على حصول الخير وهي الأصل ، ولهذا إنما يهتم الإنسان بل كل حيوان بسلامته أولاً ثم غنيمته ثانياً ، على أن السلامة المطلقة تتضمن حصول الخير ، فإنه لو فاته حصل له الهلاك والعطب أو النقص والضعف ، ففوات الخير يمنع حصول السلامة المطلقة ، فتضمنت السلامة نجاته من كل شر وفوزه بالخير ، فانتظمت

---

(١) ينظر : فتح الباري ١١/١٨ ، ١٩ ، المطبعة السلفية والفتوحات الربانية ٥/٢٧٧ ، دار الفكر .

(٢) في بدائع الفوائد ١/١٤٤ ، دار الكتاب العربي .

الأصلين اللذين لا تتم الحياة إلا بهما » ، ولذلك فلا غرو أن ينتظم الكتاب والسنة نصوصاً كثيرة في الأمر بالسلام والحث على إفشائه .

فمن نصوص الكتاب :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾[١] .

قال القرطبي[٢] ـ رحمه الله ـ : قوله : ﴿ فسلموا ﴾ معناه : فحيوا . وصفها بالبركة ، لأن فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه . ووصفها أيضاً بالطيبة لأن سامعها يستطيبها .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾[٣].

قال ابن كثير[٤] ـ رحمه الله ـ : أي : فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ﴾[٥] .

قال ابن القيم[٦] ـ رحمه الله ـ : « في ذلك إشارة إلى معنى لطيف جداً وهو أن قوله : سلام عليكم من دين الإسلام الملتقى عن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء ، وأنه من ملة إبراهيم التي أمر الله بها وباتباعها ، فحكى لنا قوله ليحصل الاقتداء به والاتباع له » .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾[٧] .

---

(١) النور ٦١ .
(٢) في الجامع لأحكام القرآن ١٢/٣١٨ .
(٣) الأنعام ٥٤ .
(٤) في تفسير القرآن العظيم ٢/١٢٩ ، مكتبة النور العلمية .
(٥) الذاريات ٢٥ .
(٦) في بدائع الفوائد ٢/١٥٨ ، دار الكتاب العربي .
(٧) النساء ٨٦ .

قال ابن كثير[1] : « أي : إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم فالزيادة مندوبة » .

وقال القرطبي[2] : التحية السلام ، وأصل التحية الدعاء بالحياة ، والتحيات لله أي : السلام من الآفات .

وحكى ابن العربي[3] إجماع العلماء والمفسرين أن المراد ههنا بالتحية السلام . . . وإن العرب عبرت بالتحية عن الهدية فذلك مجاز ، لأنها تجلب التحية كما يجلبها السلام .

٥ ـ قال تعالى : ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾[4] .

قال ابن كثير[5] : كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول : حييت صباحاً وحييت مساءً ، وكان ذلك تحية القوم بينهم . . . فغير الله ذلك كله في ستر وعافية وجعله نقياً نزهاً من الدنس والقذر .

وفي السنة اعتناء ظاهر بهذه التحية يشهد به النصوص المتواترة في الحث عليها والأمر بإفشائها ومنها :

١ ـ عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام وإبرار القسم »[6] .

قال ابن العربي[7] : فيه أن من فوائد إفشاء السلام : حصول المحبة

---

(١) في تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٠٣ .
(٢) في الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٩٧ .
(٣) في أحكام القرآن ١/ ٤٩٦ ، دار الفكر .
(٤) النور ٢٧ .
(٥) في تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٧٢ .
(٦) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب إفشاء السلام ٧/ ١٢٨ .
(٧) حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٨ .

بين المتسالمين ، وكان ذلك لما فيه من ائتلاف الكلمة لتعم المصلحة بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين ، وهي كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعي لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها .

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم »[١] .

٣ ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي : الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف »[٢] .

ومعنى قوله : على من عرفت ومن لم تعرف : تسلم على من لقيته ولا تخص ذلك بمن تعرف ، وفي ذلك إخلاص العمل لله واستعمال التواضع ، وإفشاء السلام الذي هو شعار هذه الأمة[٣] .

قال ابن حجر[٤] : وفيه من الفوائد أنه لو ترك السلام على من يعرف احتمل أن يظهر أنه من معارفه ، فقد يوقعه في الاستيحاش منه . وقال ابن بطال : في مشروعية السلام على غير المعرفة استفتاح للمخاطبة للتأنيس ليكون المؤمنون كلهم إخوة فلا يستوحش أحد من أحد ، وفي التخصيص ما قد يوقع في الاستيحاش ، ويشبه صدود المتهاجرين المنهي عنه .

٤ ـ عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »[٥] .

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال : « إياكم

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/ ٥٣ .
(٢) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ٧/ ١٢٨ .
(٣) فتح الباري ١١/ ٢١ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ٧/ ١٢٨ .

والجلوس بالطرقات قالوا : يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها ، قال ﷺ : إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حقه ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1] .

٦ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »[2] .

٧ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال : « أعجز الناس من عجز في الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام »[3] .

٨ ـ وعن الأغر ـ رضي الله عنه ـ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال له : « ألا ترى الناس يبدأونك بالسلام فيكون لهم الأجر ؟ ابدأهم بالسلام يكن لك الأجر »[4] .

ويحسن قبل ختام هذا المبحث التنبيه على أنه قد جرى الخلاف من العلماء في أفضلية السلام على رده ، واستظهر البعض أفضلية الرد لأنه واجب .

واستشكل بعض العلماء أفضلية الابتداء مع كونه سنة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب السلام باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام ٧/ ٣ .

(٢) صحيح مسلم كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ٧/ ٣ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وقال : لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ورجاله رجال الصحيح غير مرزوق بن المرزبان وهو ثقة .
مجمع الزوائد كتاب الأدب باب فيمن بخل بالسلام ٨/ ٣١ .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد باب من بدأ بالسلام ص ٤٣٤ طبعة وزارة العدل بدولة الإمارات .
وأخرجه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .
مجمع الزوائد كتاب الأدب باب البداة بالسلام ٨/ ٣٢ .

وأجيب : بأنه عهد تفضيل المندوب على الفرض ، وذلك كإبراء المعسر من الدين فإنه أفضل من إنظاره مع وجوبه .

وعلل بعض العلماء لوجوب الرد : بأن السلام معناه : الأمان ، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه[1] .

☆ ☆ ☆

(١) ينظر : فتح الباري ١١/ ٧ ، والفواكه الدواني ٢/ ٤٢٢ .

obeikandl.com